

عزوف الشباب عن مهنة البناء بالجزائر

أ. صفية بوداني

جامعة الشلف

ملخص الدراسة

تهدف دراستنا الحالية إلى معرفة طبيعة التصورات الاجتماعية ومدى تأثيرها على توجيه اتجاهات الشباب نحو مهنة البناء، وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والقيم والامثال الشعبية المتداولة، وقد طبقت الدراسة على عينة بلغ عددها 387 متربص مسجلين في كل التخصصات المهنية اليدوية بمراكز التكوين المهني بولاية عين الدفلى وذلك خلال فترة 2009/2014، ولجمع المعلومات وبلوغ أهداف الدراسة و التأكد من فروضها، تم استخدام المنهج الوصفي في البحث معتمدين في ذلك على الاستمارة لجمع المعلومات واختبار الفروق كاف تربيع للمعالجة الاحصائية، وفي الأخير أظهرت نتائج البحث على أن طبيعة التصورات الاجتماعية المتدنية نحو مهنة البناء هي العوامل المساهمة في اتجاه النفور، حيث تتمثل هذه الأخيرة في مجموع القيم والامثال الشعبية المتداولة، وتعززها عوامل اجتماعية ومهنية أخرى كعملية التنشئة الاجتماعية من خلال الاسرة والاصدقاء وظروف العمل القاسية.

مقدمة

هناك الكثير من الأفكار والتصورات الاجتماعية تعود في جذورها الحقيقية الى التراث الثقافي القديم، حيث مازالت تسير وتوجه وتحكم سلوكنا الاجتماعي والمهني رغم عدم ملائمتها بالنسبة إلى حياتنا اليومية. ومن بين تلك الأفكار والتصورات الموروثة التي نراها في مجتمعنا توجه سلوكنا، نجد فكرة تقسيم العمل في تصور المجتمعات القديمة، حيث قسمت هذه الأخيرة العمل إلى مظهرين، مظهر ذهني ومظهر يدوي.

يقتصر المظهر الأول منه وهو العمل الذهني، على طبقة الحكام والفلاسفة فقط، أما المظهر الثاني فيتمثل في العمل اليدوي الذي ينظر إليه على أنه جهد فيزيقي بدائي يشتمل على مجموع الأعمال ليديوية الثقيلة كالمناجم والبناء والحدادة، يؤديه فئة العبيد في المجتمع، عقابا لهم على قلة عقلهم وفكرهم في تسير غرائزهم البهيمية. ولعل نظرة القدامى لهذا العمل واسناده الى طبقة الرقيق ترجع على اعتباره مظهر لهم من الخطيئة في حد ذاته" (كمال عبد الحميد الزيات، 1980، ص 40). حيث انتقلت إلينا هذه النظرة ولا تزال سارية التأثير في سلوكياتنا اليومية واتجاهاتنا المهنية وخططنا الاستراتيجية في تسير سياساتنا الاقتصادية، إذ أننا نلاحظ عزوف الشباب عن الأعمال اليدوية وإقبالهم على الأعمال الذهنية في مراكز التكوين المهني كالأعمال المكتبية والمحاسبة والإعلام

الآلي وقد أدى هذا الاتجاه نحو هذه المهن، إلى فائض في بعض التخصصات الذهنية رغم عدم الحاجة إليها. وعزوف الشباب عن المهن اليدوية كالحداثة والزراعة والبناء، وهذا يرجع في أساسه إلى أن المهن اليدوية تحمل صورة اجتماعية متدنية منذ العصور القديمة، أما حالياً فقد أصبحنا نواجه ندرة في بعض المهن اليدوية، كمهنة البناء مثلا التي تشهد عزوفاً كبيراً من طرف الشباب رغم أهميتها البالغة التي تعتبر مهنة أساسية للعديد من القطاعات الاقتصادية الحيوية، حيث يشهد الاقتصاد الجزائري نقصا فادحا في عدد المكونين لقطاع البناء، وعجزا كبيرا في سد احتياجات السوق الوطنية من اليد العاملة اليدوية للبناء، فلو ألقينا نظرة ثاقبة على واقع التكوين المهني في الجزائر، بات من السهل جدا علينا أن ندرك اتجاه النفور لدى الشباب الجزائري للعمل في مهن البناء، وعزوفهم الشبه التام نحوها في اختياراتهم المهنية، كما نلاحظ أيضا، أن هذه المهن أصبحت تعاني تسربا مستمرا في عدد المسجلين في مراكز التكوين المهني إن لم نقل انعدامه في بعض الأحيان خلال فترة التربص القانونية بمراكز التكوين المهنية.

فعلى بالرغم من المجهودات الهائلة التي تبذلها وزارة التكوين المهني لبعث هذه المهن في الوسط المهني بمراكز التكوين، والنهوض بها من جديد ووضعها في أولى الاهتمامات لتطويرها. وعلى رغم من كل ما رصدته من امكانيات هائلة لدعم وتكوين الشباب في مهن البناء داخل مراكز التكوين من خلال توفير الآليات والعتاد لذلك، إلا أن هذه الامكانيات التي سخرها الوزارة كمحاولة للاستجابة في أقرب الآجال لطلبات السوق في مجال البناء، فشلت في توفير اليد المهنية المحلية في سد الطلب الوطني، وتغطية النقص الفادح في قطاع الاعمال اليدوية للبناء وقطاع الاشغال العمومية بالجزائر و لم تلق هذه المهن مكانتها في اختيارات الشباب المهنية، بل بقي اقبالهم عليها اقبالا محتشما، رغم الطلب المتزايد عليها في ميدان الشغل العام والخاص، مقارنة مع اتجاه الاقبال على المهن الأخرى.

انطلاقا من هذه الرؤية الواقعية لواقع الاقتصادي الجزائري جاءت تساؤلاتنا كالاتي:

ما هي العوامل الاجتماعية المحددة لاتجاهات الشباب نحو المهن اليدوية للبناء في الجزائر يا ترى؟

هل التصورات الاجتماعية هي التي تدعّم اتجاه النفور لدى الشباب نحو هذه المهن؟

ما طبيعة هذه التصورات وما مرجعيتها؟

وما هي أهم العوامل المحددة لها؟

فروض الدراسة:

- التصورات الاجتماعية المتدنية نحو العمل اليدوي هي إحدى العوامل الأساسية المحددة لاتجاهات الشباب نحو العمل في البناء.

- هناك قيم اجتماعية متدنية في تصورات الشباب تعزز اتجاه العزوف من مهنة البناء.

توجد قيم متدنية لمهنة البناء من خلال الامثال الشعبية تعزز اتجاه العزوف.

أهداف الدراسة

لكل باحث غاية وهدف وراء دراسته لموضوع أو ظاهرة ما فدراستنا لهذا الموضوع تهدف إلى معرفة أهم التصورات الاجتماعية نحو مهنة للبناء اليدوية في المجتمع ومدى علاقتها بهروب الشباب ونفورهم من هذا العمل اليدوي، كما نحاول معرفة دور الثقافة المكتسبة في تراجع هذا النوع من المهن، و نحاول أيضا معرفة شعور وتصور المتربصين لمهنة البناء داخل مراكز التكوين المهني.

- ونسعى من خلال هذه الدراسة إلى معرفة أثر التصورات المتدنية في نفور الشباب من مهنة البناء كما سنحاول معرفة الاستراتيجية الفعالة لتحسين مكانة هذه المهنة اليدوية ورفع مستواها ومكانتها الاجتماعية وجعلها مهن مرغوبة ومطلوبة لدى الشباب خاصة في ضوء ارتفاع معدلات البطالة في الجزائر وتزعزع قطاع المحروقات هذا العام.

- وفي الأخير يمكننا القول أننا من خلال هذه الدراسة سنعمل على معرفة طبيعة التصورات الاجتماعية السائدة في المجتمع نحو العمل اليدوي عامة وعن التصور نحو مهنة البناء بصفة خاصة ومكانتها ومدى أثر تلك التصورات في عزوف الشباب عن هذا النوع من العمل وذلك بغية وضع استراتيجية ناجحة للنهوض بالاقتصاد الوطني وتحسين نظرة المجتمع للتفكير بإيجابية نحو هذه المهن.

المفاهيم الاجرائية للدراسة:

في هذا المقال سنتطرق أولا إلى تحديد الكلمات المفتاحية الاساسية لهذا المقال وهي كالآتي:

مفهوم اتجاه النفور:

هو عدم الرغبة والتقدير، والإحجام والعزوف نحو اختيار الشيء والهروب منه.

وهو أيضا: وجدان مكرر مصحوب باندفاع إلى الانسحاب أو الصد

التصورات الاجتماعية:

هي مجموع المعارف و القيم والاعتقادات والافكار المشتركة التي تحد اتجاهاتنا نحو الموضوعات المختلفة.

القيم الاجتماعية:

هي التقديرات السلبية أو الإيجابية للموضوع

التنشئة الاجتماعية:

هي التوجيه والتربية والتكوين والتنمية والغرس والتثبيت لمختلف التصورات والقيم والاتجاهات الاجتماعية.

مهنة البناء:

هي ذلك العمل اليدوي البسيط الذي يعتمد المجهود العضلي في حمل الحجارة والاسمنت لبناء منزل أو سور.

هي ذلك العمل المتدني الحقيير الذي ينقص من قدر ومكانة وقيمة الفرد اذا مارسه.

منهج الدراسة:

وانطلاقاً من طبيعة موضوع بحثنا، ألا وهو أثر التصورات الاجتماعية وعلاقتها باتجاه النفور من مهنة البناء، وهو موضوع ذو الابعاد النفسية الاجتماعية. الذي دفعنا الى الدراسة والبحث. وقد اعتمدنا المنهج الوصفي كونه المنهج الانسب لكشف واستقصاء عوامل وأبعاد هذه الظاهرة. وهذا من أجل اعداد تقرير علمي دقيق لها. دوافع اختيارنا لهذا المنهج تتمثل في:

- الاستفادة من بعض الدراسات السابقة واعتمادنا على المنهج الذي اتبعته ألا وهو المنهج الوصفي كون محتوى دراستنا يتشابه مع تلك الدراسات كدراسة (Moscovici) لنظرية التحليل النفسي.
- كون محتوى التصورات الاجتماعية عادة ما يعرف بواسطة الرأي والاتجاه حسب رأي Abrie. من خلال هذه التصورات للموضوع يمكننا القول أننا بينا دوافع اختيارنا للمنهج الوصفي.

1- عينة البحث:

خصائص عينة البحث بالنسبة للاستمارة الاولى:

في هذا البحث المجتمع الاصلي هو مجموع المتربصين في كل المهن اليدوية بمركزي التكوين المهني (العبادية، الروينة) بولاية عين الدفلى الذي يبلغ عددهم الاجمالي حوالي 688، حيث لم يتسن لنا دراسة كل الافراد، فقمنا باختيار عينة بطريقة عشوائية طبقية تتكون من 378 متربص في مختلف التخصصات اليدوية وذلك بنسبة خطأ 10% وللاشارة فإن من شروط العينة التي أختارناها للدراسة، هي خاصية تقارب المستوى، حيث اخترنا العينة على أساس تقارب المستوى العلمي لأفرادها

بالإضافة الى شرط عدم الحرية في الاختيار المهني حيث أن أفراد هذه العينة هم من تخصصات مختلفة القاسم المشترك بينهما هو المستوى العلمي المحدود وعدم الحرية في اختيار التربص، تم اختيارهم بمركز التكوين المهني بدائرة العبادية ودائرة الروينة بولاية عين الدفلى.

جدول رقم(01): توزيع أفراد العينة حسب السن

فئات السن	التكرار	النسبة المئوية
[17-15]	30	7.93 %
[23-18]	300	79.36 %
[30-24]	48	12.69 %
المجموع	378	100 %

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن معظم أفراد العين هم شباب لديهم القدرة على حرية اختيار المهنة التي يفضلون. كما يمكن تسجيل ملاحظة هامة على مميزات هذه العينة هو التفاوت العمري بين المتربصين، الذي يمكن أن يترك أثرا سلبيا في عدم توافق القدرات والفروق الفردية على مستوى عملية التعليم والتكوين من جهة ، وأثرا سلبيا على صورة هذه المهن في تصورات الشباب من جهة، فتعطي صورة متدنية عن عدم الاهتمام بهذه المهن من جهة فتبدو في نظرهم أن هذه المهن يدفع اليها كل من لا يصلح في المهن البيضاء.

جدول رقم (02): المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة المئوية
ابتدائي	90	23.80 %
متوسط	260	68.73 %
ثانوي	28	7.40 %
المجموع	378	100 %

نلاحظ في الجدول أن معظم المتربصين مستواهم التعليمي محصور في الطور المتوسط من التعليم، بينما يأتي في المرتبة الثانية المتربصين ذوي مستوى التعليم الابتدائي. وقد تبين لنا من خلال نتائج هذا الجدول التأكيد على تدني المستوى التعليمي للمتربصين في المهن اليدوية هو أحد العوامل الأساسية التي تعطي تصورا متدنيا لهذه المهن في الوسط المهني، ونستطيع القول أن سياسة التوجيه في الجزائر تعتمد النظرة الأفلاطونية التقليدية في عملية التوجيه، وأن هذه السياسة لا تتماشى مع متطلبات السوق، وليس لها القدرة على استيعاب كل متغيرات التطور لمسايرة التطورات الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، ليس تقنيا أو تدريبيا أو حتى في اعداد البرامج. انما في عدم القدرة على التحكم في عملية التوجيه واستثمار اتجاهات الشباب نحو المهن الشاغرة واعدادهم لها وهذا لا يدل الا على شيء واحد وهو أن سلم ترتيب المهن في التكوين المهني بالجزائر يخضع لتأثيرات الثقافة الشعبية التي تمجد العمل الذهني وتدحض العمل اليدوي، وهنا يمكننا القول أن سياسة التكوين في الجزائر هي سياسة تتوافق والتصورات الاجتماعية المتدنية للعمل اليدوي.

"ولأسف فقد انتقلت الينا هذه النظرة ومازالت رواسبها باقية في مجتمعا، وذات تأثير فينا، اذ نلاحظ

عزوف الشباب عن الأعمال والحرف اليدوية والتكاليف عن الأعمال الذهنية، إذ نجد في التكوين المهني الاقبال على بعض التخصصات المهنية أكثر من غيرها وهي تخصصات تتميز بنظافة العمل كالأعمال المكتبية والمحاسبة والاعلام لتأتي في المرتبة الأخيرة المهن التي لا تتطلب في نظر المكونين مهارات ليصبح المتخرج حرفيا" (بوفلجة غيات نفس المرجع، ص.43).

1- أدوات جمع البيانات:

تتوقف دقة أي بحث الى حد كبير في القدرة على اختيار أكفأ وأنجع الادوات المنهجية التي تتماشى وطبيعة الموضوع ومع امكانيات الباحث في الحصول على البيانات والمعطيات التي تخدم أهداف الدراسة، والوصول الى المعلومات اللازمة حول حقيقة الظاهرة.

وقد توقف اختيارنا لأهم الادوات العلمية للبحث في الموضوع من أجل الوصول الى الاهداف المسطرة على فهم عوامل اتجاه النفور من مهنة البناء وعلاقته بفهم التصورات التي ماهي الا عبارة عن آراء واتجاهات لا يمكن الوصول اليها الا من خلال المسائلة وهذا ما أكد عليه جون أبريك **J.Abric** في تبيان أهم الطرق لجمع محتوى التصورات نحو موضوع معين، يندرج ضمن نموذجين وهما طريقة الاستفهام وطريقة التداعي الحر المتعلقة بموضوع التصور وبناء عبارات الاستثمارة حسب أبريك **Abric** يكون شفاهي أو شكلي فحين طريقة التداعي فهي تعمل على جمع العبارات ولكن تكون شفاهية فقط وبصورة عفوية بدون توجيه. وهذا ما اعتمدناه في أدوات بحثنا.

الاستمارة:

ان موضوع اتجاه النفور من مهنة البناء، ومحاولة معرفة علاقة التصورات الاجتماعية بهذا الاتجاه لدى الشباب، قادنا الى التفكير في الاعتماد على الاستثمارة لجمع المعلومات والبيانات، أما عن تبريرنا لأهم الدوافع التي دفعتنا لاختيار هذه الاداة هي كالآتي:

- لاحظنا أنه لا يمكن التعمق و الاحاطة وفهم الموضوع الا من خلال استمارة المسائلة ومحاولة معرفة رأي واتجاه الافراد في هذا الموضوع.

- محاولة معرفة محتوى تصورات الشباب التي تكونت لديهم من خلال التنشئة الاجتماعية والثقافة الاجتماعية في تصور العمل اليدوي للبناء كمهنة.

محاولة منا الوصول الى نتائج كمية تبين حقيقة الظاهرة.

وبناء على ذلك قمنا في بحثنا بإعداد استمارة خاصة بهذه الفرضية موجهة الى عينة من المتربصين خارج مهنة البناء، وحاولنا من خلالها معرفة أهم التصورات الاجتماعية نحو مهنة البناء ودورها في توجيه أو الحد من ميولهم المهنية وقد اخترنا هذه العينة لأنها تشترك في نفس الخصائص للمتربصين في البناء كالمستوى الدراسي، وعدم الحرية في اختيار الرغبة المهنة حيث أن كل فرد منهما كان مرغما على اختياره المهني الذي اختاره.

لذلك رأينا أنه لنعرف ونطلع عن أهم التصورات الاجتماعية المتحركة في اتجاهات الشباب نحو اختيار مهنة البناء، لا بد علينا اختبار هذه العينة التي نراها ممثلة، ومن ثم عملنا على بناء عبارات الاستمارة على شكل تساؤلات استفهامية مغلقة حتى لا يتهرب المفحوص من الإجابة خاصة وأنا نعرف أن من خصائص المجتمع الجزائري أنه غير صريح في التعبير عن مشاعره وتفكيره تعبيرا مباشرا بسبب المحددات الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية، إلا أننا اضطررنا إلى وضع سؤال حر يدور حول أهم الأمثلة الشعبة المتداولة التي تحتوي تصوراتنا الاجتماعية نحو الموضوعات المختلفة في آخر عبارات الاستمارة الأساسية يتناسب مع طبيعة الموضوع ألا وهو علاقة التصورات الاجتماعية باتجاه النفور من العمل في البناء، وبذلك نكون قد استخدمنا الطريقة التداعي الحر وطريقة الاستفهام في بناء استماراتنا. وهذا جاء بعد التطبيقين الأولين للاستمارة بعدما لاحظنا أن هناك تهرب من الإجابة على العبارات المفتوحة وإهمالها إهمالا كلياً أثناء الإجابة.

- صياغة الملاحظات الميدانية في شكل بنود هامة وذلك بهدف التحقق منها.
- الاستفادة في تركيب العبارات من دراسة عبد الرحمان العيسوي نحو العمل اليدوي.
- الاستفادة من نتائج تقرير البحث الذي أعدته فرقة البحث في علم الاجتماع بمركز البحث الوطني بقيادة الدكتور كمال بوشارف.

1- عرض ومناقشة النتائج

عرض ومناقشة فرضية طبيعة التصورات الاجتماعية نحو مهنة البناء في الجزائر.

جدول رقم (03) يوضح: طبيعة التصورات الاجتماعية نحو مهنة البناء

التخصص	متدنية	عالية	المجموع	X ²
نجارة معمارية	12	19	31	13,68
تركيب الصحي للغاز	9	8	17	
التلحيم	18	5	23	
طلاء الزجاج	11	2	13	
حلاقة الرجال	10	7	17	
طبخ الجماعات	120	73	193	
خبازة	30	23	53	
ميكانيك	17	14	31	
المجموع	227	151	378	

نلاحظ من خلال نتائج الجدول رقم (03)، أن الفروق دالة في اجابات الافراد بدرجة ثقة 0.95 % حيث أن X^2 المحسوبة أكبر من X^2 الجدولة: $3.84 \leq 13.68$. وعليه فقد أجاب 151 متربص في كل التخصصات المهنية اليدوية المختلفة بنعم أن قيمة مهنة البناء عالية ، بينما أجاب 227 آخرون في نفس التخصصات بالمعارضة عن العبارة.

لقد قلنا عن القيم أنها عنصر أساسي من عناصر الثقافة و لب التصورات الاجتماعية ومراة عاكسة لها، فهي عبارة عن نتاج اجتماعي ينتقل الينا من خلال الاجيال المتعاقبة عن طريق النظم الاجتماعية، فالقيمة هي الرغبة الانسانية والتقدير لموضوع ما.

ونحن من خلال نتائج هذا الجدول نرى أن تصوّرات الشباب الجزائري متدنية نحو مكانة مهنة البناء من الناحية الاجتماعية، وهذا نتيجة لثقافة العيب نحو العمل اليدوي المكتسبة من ثقافتنا الاجتماعية.

وقد جاءت نتائج هذا الجدول مطابقة لنتائج دراسة جمال أبو الخير التحليلية للقيم السلبية نحو العمل اليدوي، التي أدت إلى تكوين قيم تربوية واجتماعية سلبية للعمل اليدوي ووضع تصور لسبل الاصلاح.

وقد حاول أيضا أبو الخير حصر أهم العوامل التي أدت إلى تكوين قيم سلبية نحو العمل في الثقافة النوعية المنحطة في المجتمع وقيمة العمل اليدوي في الأمثال الشعبية، والجذور الثقافية للقيم السلبية نحو العمل اليدوي في المجتمع الكويتي.

وقد توصل هذا الأخير من خلال هذه الدراسة التحليلية بالصورة المتدنية للعمل اليدوي في ثقافتنا العربية، وهي نفس النتائج التي الذي نستخلصها نحن من تحليلنا لنتائج هذا الجدول.

فمن عجائب الزمان أن تستورد الدول العربية، خاصة منها الجزائر كل المنتجات اليدوية حتى اليد العاملة اليدوية، لسد حاجات معظم القطاعات الحيوية في البلاد رغم توفرها على الامكانيات المادية البشرية والاقتصادية الهائلة التي تغنيها عن الاستيراد اليد العاملة اليدوية ، وهي مشكلة لا بد من الوقوف عليها والبحث فيها. عن الاسباب الحقيقية التي تقف وراء هذه الظاهرة، ان تصورات الأفراد لثقافة العيب في ممارسة المهن اليدوية والنفور منها ليست ظاهرة جديدة عند العرب انما هي ظاهرة ضاربة في أعماق التاريخ لدى الشعوب العربية ومنها الجزائر والسبب في ذلك حسب تحليل ابن خلدون لها مقدمته الشهيرة أين أشار إليها في الفصل الواحد والعشرون معبرا بقوله " أن العرب أبعد الناس عن الصنائع والسبب في ذلك أنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الضري وما يدعو إليها من الصنائع وغيرها... الخ فنجد في أوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنائع بالجملة، حتى تجلب اليه من قطر آخر "(عبد الرحمن ابن خلدون، 2008، ص.374).

كما خص بلاد المغرب العربي في بعدها عن ممارسة العمل اليدوي بقوله "وعجم المغرب من البربر، مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ أحقاب السنين. ويشهد لذلك قلة الأمصار بقطرهم. فالصنائع بذلك قليلة وغير مستحكمة الأماكن" (نفس المرجع، ص.374).

نفهم من خلال هذا التناول للمهن اليدوية حسب ابن خلدون أن ممارسة المهن اليدوية لدى الشعوب الغربية وشرق آسيا هو نوع ومظهر من مظاهر الحضارة والرقى وتطور الفكر لديها في بناء المجتمع وطلب الرزق ورائدة في تطور الاعمال اليدوية من أجل استكمال البناء والتشييد الحضاري على عكس الشعوب العربية والمغربية فهي لا تهتم المهن اليدوية لأنها شعوب بسيطة الفكر بعيدة عن التحضر بدائية العيش لا تبذل جهدا في البناء الحضاري. بل تعتمد دائما في تسير أمورها و سد احتياجاتها في اليد العاملة من خلال جلبها من شعوب شرق آسيا والشعوب العجمية.

المحددات الثقافية والاجتماعية المؤثرة على بناء تصورات الفرد الاجتماعية للمهنة: التصورات الاجتماعية هي تصورات تعبر عن ثقافة المثل والقيم والمعتقدات والاتجاهات الاجتماعية والدين لجماعة ما. وهي جوانب مثالية ومعيارية توجد على شكل أفكار في أذهان الافراد التي يتم استرجاعها نحو الموضوعات المختلفة.

فالثقافة اذن حسب هذا المفهوم هي ذلك الارث الاجتماعي الذي يتعلمه الفرد ويكتسبه من خلال وجوده في الجماعة التي ينتمي اليها فيتعلمها نتيجة التطبع الاجتماعي حتى يصبح فردا انسانيا. والثقافة هي مرجع من مرجعيات المجتمع التي يعتمد عليها في تنشئة وتكوين تصورات أفراد. حيث يولد الفرد داخل ظروف مجتمع ما، ويتطور ويكبر داخل رحم الثقافة التي تميز ذلك المجتمع فتتشكل شخصيته وتنمو، وتترعرع فيها، فهي كالمرآة العاكسة تعكس تراثا متراكما من الأفكار والمعتقدات والقيم والنظم والقوانين كل الجوانب المعنوية للثقافة، التي يستمد منها تصوراتها واتجاهاته ومهاراته ودوافعه ورغباته، وهذا من أجل تحقيق التكيف الاجتماعي.

اذن، التصورات هي معطى وموروث اجتماعي ثقافي يتناقله الافراد وبناء مادي ومعنوي ينخرط في التاريخ، لتمييز وتحديد العلاقات بين المجموعات الاجتماعية. حاجة اجتماعية ضرورية وأساسية لكل فرد من أجل تحقيق التوازن الاجتماعي.

"فمن الضروري عند تحليل أي ظاهرة أو نسق ثقافي أو اجتماعي، يجب تحليل الوضعية الاجتماعية التاريخية والثقافية التي تنتج الجماعة على الصورة التي تكون عليه" (دنيس كوش، 2004، ص.119). لأن التصورات لا توجد بمعزل عن الظاهرة أو السلوك الاجتماعي وانما تكون مرسخة فيهما ولاصقة لهما. وفي هذا المضمون يقول ادوارد سابير E.sapir "هي ليست عناصر ثقافية تنتقل من ثقافة لأخرى في استقلال عن الأفراد بل هي تصرفات أفراد ملموسة خاصة بكل ثقافة بإمكانها أن تفسر افتراض الثقافي ما" (دنيس كوش، نفس المرجع، ص. 61).

، وتتميز تلك المظاهر والخصائص الثقافية بالتغير والتبدل والتبدد والانتقال من جيل الى جيل، تحت صور وأشكال ورموز مختلفة.

الثقافة الاجتماعية اذن هي مرجعية أساسية في تصورات الفرد نحو الموضوعات المختلفة كموضوع المهن ومحدد من محددات الاتجاه و اختياراته وتصوراته المهنية للعمل اليدوي.

وقد أشارت احدى الدراسات الحقلية للبناء الاجتماعي للورشة أن عدد من المظاهر السلوكية تمثل جانبا من تصورات الثقافة النوعية لبعض الحرفيين (محمد عبده محجوب، 1981، ص.127-167).

والعمل اليدوي ظاهرة اجتماعية تنشأ من أنماط السلوك المتراكمة أثناء مباشرة أعضاء المجتمع لحياتهم، والثقافة تقوم بعمل مشابه إلى حد بعيد للغريزة في توجيه سلوك الفرد وتصوراته وكل شخص يمكن له أن يعتمد عليها وكأنها غريزية بيولوجية لا يفرق بينها وبين ما هو فطري بحيث يكون النمط هاما بالنسبة لأوجه الحياة في المجتمع، "وكلما ازداد السلوك تنميظا ازداد غرسه في معظم أعضاء المجتمع حتى يأخذ شكل الثقافة العمومية وتتناقله الاجيال خلال الميراث الاجتماعي. هنا يمكن تسمية هذا النمط بالظاهرة الاجتماعية" (محمد حجازي، 1975، ص.23).

أما الثقافة والنظم الاجتماعية فهي تشير الى أسلوب التفكير أو العمل ذو التأثير القوي والدائم حيث يعتبرها روز Rose أن "الأنساق المعيارية هي التي تنظم السلوك وتحدد العلاقات الاجتماعية في مختلف أوجه الحياة" (محمد حجازي، نفس المرجع، ص.35).

فلو تأملنا في الثقافة النوعية نحو العمل اليدوي لوجدنا أنها "ضمن الظواهر الاجتماعية التي تولدت من عدة عوامل متشابكة منها الثقافة النوعية للحرفيين، والميراث الثقافي المتوغل منذ القدم" (يحيى محمود السعاتي، 1404هـ، ص.379).

والعمل اليدوي هو ظاهرة اجتماعية لها تقديرات ثقافية اجتماعية سلبية سائدة في أكثر من دولة في مجتمعات العالم الثالث خاصة "منها المجتمعات الشرقية. ويمكن ملاحظة هذا السلوك حتى وان لم يعبر عليه تعبيراً صريحاً إنما يمكن اكتشافه من خلال أنظمة التراسل الضمنية التي تتلخص في الرموز والعادات الممارسة ومحظورات السلوك التي يتبناها أفراد هذه المجتمعات، حيث توجد "المفردات وتصورات خاصة، نمت حول كل مهنة أو حرفة كل منها هو شكل متخصص جدا فالأمريكيون لا يربطون أي عار بالعمل اليدوي ولكن في ثقافات عديدة يعتبر العمل اليدوي غير محترم و ذو دلالة على وضع متدن. هذا الاختلاف يخلق عوائق ومصاعب لا تعد ولا تحصى، في بعض الاحيان يساء تفسير دور الأمريكيون عندما يعملون بمهنة أو يقدمون شرحاً توضيحياً كيف يتم عمل شيء ما. وفي أحيان أخرى يرفض المواطنون المحليون ببساطة أن يكون لديهم أي شيء له علاقة بالمهنة التي تصنف متدنية جدا والتي يجب أن يتم القيام بها يدوياً، حيث كان التمريض لسنوات في جميع أنحاء أمريكا اللاتينية متخلفاً لأنه صنف قريباً جداً من أسفل السلم بحيث كانت الفتيات غير المتعلقات هن فقط يصبحن

ممرضات. وكانت تعتبر طريقة الاعتناء بأوعية تبول المريض، وكذلك عدة مهام أخرى مرتبطة بشكل عادي بمهنة التمريض أعمالاً وضيعة وقذرة. وبشكل مماثل، فإن محاولات تعليم السلامة الصناعية في أمريكا اللاتينية تعثرت بعقبات ثقافية عندما تم اكتشاف أن مهندسي السلامة كان عليهم أن يرتدو رداء متسخاً على الجسم وأن يشرحوا إجراءات السلامة الموجودة على الآلات في المصنع " (ادوارد تيهول، 2007، ص. 54-55).

أما في الجزائر "فقد ظلت حرفة النسيج الى وقت طويل في الثقافة والتصورات والمعايير الاجتماعية الجزائرية، هي حرفة خاصة بالنساء وكل من يميل الى القيام بمثل هذه الانشطة، من الرجال ينظر اليه نظرة خزي ووصم تنقص من مروءته وتخل برجولته" (بن عبد الله محمد، 2010، ص. 100).

وعلى الفرد في الجزائر أن يختار المهنة التي تنسجم مع روح القيم والتصورات السائدة في المجتمع فقد لوحظ على النساء في الجزائر أنهن يفضلن مهنة التعليم على غيرها من المهن وذلك لأن هذه المهنة هي الأكثر انسجاماً مع التصور الاجتماعي والعرف الجزائري السائد في المجتمع. وظل "يعد عمل المرأة خارج البيت ظاهرة تفسخية لخروجها عن التقاليد التي توجب بقاء المرأة في البيت. لصونها وصون شرفها وعرضها الذي يمثل قيمة القيم الاجتماعية. ولهذا يرى أن القلق الذي تعاني منه المرأة في عملها هو راجع الى هذه الوضعية النفسية الاجتماعية الملازمة للوسط الثقافي المغربي الذي يبقى مشدوداً الى قيمه الاصلية المتجذرة في ثقافته" (بن عبد الله محمد، نفس المرجع ص. 101).

وهكذا يمكننا القول أن الكثير من الممارسات الاجتماعية والأنشطة المهنية محكومة بالقيم وثقافة التصورات الاجتماعية السائدة في المجتمع المتحكمة في اتجاهات وذهنيات الأفراد نحو اختياراتهم المهنية.

جدول رقم (04) يوضح: مكانة مهنة البناء هي مهنة بدائية في تصور الناس

التخصص	نعم	لا	المجموع	X ²
نجارة معمارية	20	11	31	
تركيب الصحي للغاز	13	4	17	
التلحيم	13	10	23	
طلاء الزجاج	4	9	13	
حلاقة الرجال	9	8	17	
طبخ الجماعات	60	133	193	
خبازة	37	16	53	

ميكانيك	18	13	31	
المجموع	204	174	378	44,39

نلاحظ من خلال نتائج الجدول رقم (04)، أن الفروق دالة في اجابات الافراد بدرجة ثقة 0.95 % حيث أن X^2 المحسوبة أكبر من X^2 الجدولة: $44.39 \leq 3.84$. وعليه فقد أجاب 204 متربص في كل التخصصات المهنية اليدوية المختلفة بنعم على العبارة، بينما أجاب 174 آخرون في نفس التخصصات أيضا ان التصورات الاجتماعية المتدنية نحو مهنة البناء واعتبارها مهنة بدائية هي ما يحد من اختيارات الشباب لهذه المهنة كونها مهنة يدوية. يمكننا القول في ما يتعلق بقراءتنا لنتائج الجدول رقم (03) أن نظرة المجتمع الدونية القديمة للفلسفة اليونانية في تقسيمها للعمل وجعل العمل اليدوي في أدنى المراتب، لا تزال موجودة الى يومنا هذا، حيث تبلورت تحت شكل من الاشكال هذه الثقافة التقليدية وأصبحت تعمل على التحكم بقوة في تصورات الناس نحو اختياراتهم أو تقديراتهم المهنية، خاصة منها المهن اليدوية كمهنة البناء.

ان تدني التصورات الاجتماعية نحو قيمة ومكانة بعض الأنشطة اليدوية تاريخيا، لها أثر مباشرة على هويتها وقيمتها وحقيقتها في تصورات أفراد المجتمع حاليا اذ يعمل المجتمع من خلال بعض الممارسات الاجتماعية الرمزية من خلال التصورات والتمثيلات الاجتماعية إلى تخفيض والتقليل من قيمة بعض المهن، منها مهنة البناء في نواحي كثيرة كترتيبها في آخر سلم الاختيارات المهنية وفتح فرص التربص فيها للشباب ذوي المستوى الضعيف فقط، وتمييز المتربصين فيها بهندام رث وغير جذاب في لونه عن الآخرين، كلها عوامل مساعدة في استمرار استهلاك التصورات الاجتماعية المتدنية نحو هذه الأنشطة ونفور الشباب منها بسبب عملية البناء و التقييم الرمزية المتدنية، التي لا أساس لها من الحاجة في وقت بات المجتمع والاقتصاد الجزائري بحاجة ماسة الى عمال مهرة في هذه الميدان. وقد سبق و أشرنا بالتفصيل والتحليل الى تاريخ هذه التصورات الاجتماعية المتدنية نحو المهن اليدوية، من خلال الثقافة اليونانية التي تقوم على فكرة تقسيم العمل عند اليونان قديما حسب الطبقة الاجتماعية، اذ ميز الفلاسفة العمل في البناء ورتبوه ضمن المرتبة الاخيرة من مراتب المهن و أسندوه الى الطبقة العاملة والاخيرة ضمن الطبقات الاجتماعية في المجتمع. وهذا من أجل خدمة الطبقتين الاولى والثانية، وقد مثلت الطبقة العاملة، الاغلبية العظمى من الرقيق التي تعمل في الاعمال الثقيلة كأعمال المناجم والصناعة والفحم والبناء.

في الاخير نقول أن ان تصورات الأفراد لثقافة العيب في ممارسة المهن اليدوية والنفور منها ليست ظاهرة جديدة عند العرب، انما هي ظاهرة ضاربة في أعماق التاريخ لدى الشعوب العربية حيث يقول ابن خلدون في مقدمته " أن العرب أبعد الناس عن الصنائع والسبب في ذلك أنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الضري وما يدعو اليها من الصنائع وغيرها... الخ فنجد في أوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنائع بالجملة، حتى تجلب اليه من قطر آخر " (عبد الرحمن ابن خلدون، 2008، ص 374).

وقد وافقت نتائج هذا الجدول نتائج دراسة جمال أبو الخير كما أشرنا من خلالها الى أهم العوامل الثقافية والاجتماعية المحددة لهذه التصورات في الدراسة، التي عملت على حصر الجذور الثقافية للقيم السلبية نحو العمل اليدوي وأهم مؤشراتنا الاجتماعية المتحركة فيها.

عرض ومناقشة فرضية القيم الاجتماعية المتدنية تدعم اتجاه العزوف من مهنة البناء:

نقول أن القيم جزء هام وأساسي لا يمكن الاستغناء عنه لأنه الأساس الذي نفسير على ضوءه الكثير من الاتجاهات والسلوكيات المختلفة التي توجد بين الافراد وهي مكون من مكونات التصورات الاجتماعية. حيث يقول والتر فريي Walter Frey " أن القيم هي الموضوع الاساسي الذي نفسير في ضوءه مظاهر حياة الجماعة وتنظيماتها الايكولوجية والاجتماعية" (نادية عمر الجولاني، 1993، ص.82) وقد قدم كولب Kolp دعماً لهذا الاتجاه في تفسيره للقيم وجاءت دراسته للمدن الاسلامية تأكيداً واضحاً لأثر القيم الاجتماعية على مزاوله الانشطة في هذه المدن كما ربط ماكس فيبر القيم الثقافية بتطور المشروعات الاقتصادية وذلك لإيمانه بأن للقيم فاعلية في عملية تطور المشاريع الاقتصادية، "فالقيم هي مجموعة من الاعتقادات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي التي تمثل موجهات للسلوك" (أحمد أحمد، 1403هـ، ص.20) نحو الموضوعات المختلفة في اختيارها وهي "موجه من موجهات الفعل التي تلتزم الفرد بالمحافظة على معايير معينة لاختيار معين ك، كما هي مقاييس ومعايير للاختيار فهي تلزم الفرد وتساعد على اختياراته" (محمد أحمد محمد بيومي، 2002، ص.111) ذلك لأن القيم هي خلاصة تفاعلات هذه المفاهيم والقيم المتواجدة التي تصبح في الاخير عامة وموحدة "واطار مرجعي مشترك بين الافراد نحو الموضوعات المتنوعة بحيث توفق بين الاتجاهات من خلال الحكم على موضوع أو سلوك معين" (الربيع ميمون 1995، ص.16).

جدول رقم (05) يوضح: ترتيب مهنة البناء في سلم المهن.

التخصص	نعم	لا	المجموع	X ²
نجارة معمارية	10	21	31	
تركيب الصحي للغاز	6	11	17	
التلحيم	13	10	23	
طلاء الزجاج	7	6	13	
حلاقة الرجال	12	5	17	
طبخ الجماعات	132	61	193	

	53	36	17	خبازة
	31	15	16	ميكانيك
62,58	378	165	213	المجموع

نلاحظ من خلال نتائج الجدول رقم (05)، أن الفروق دالة في اجابات الافراد بدرجة ثقة 0.95 % حيث أن X^2 المحسوبة أكبر من X^2 الجدولة: $62.58 \leq 3.84$. وعليه فقد أجاب 213 متربص في كل التخصصات المهنية اليدوية المختلفة بنعم على العبارة، بينما أجاب 165 آخرون في نفس التخصصات أيضا بأن ترتيب مهنة البناء في آخر سلم المهن لم يكن عائقا أمامهم في اختيارها كمهنة مستقبلية.

من خلال نتائج هذا الجدول نقول، أن ترتيب المهن اليدوية في آخر سلم المهن ليس وليد تصورات اجتماعية حالية انما يرجع أصل هذه الفكرة الى فكرة تقسيم العمل ذهني، يدوي واعتبار العمل الذهني أحسن وأعلى من العمل اليدوي وقد أشرنا الى هذا في الجذور التاريخية في تقسيم العمل حسب الطبقات عند اليونان . طيلة قرون عديدة فإنها تشكلت عندئذ بما ندعوه بالثقافة التقليدية حيث أصبحت هذه الاخيرة تشكل نظاما أخلاقيا واقتصاديا مركب من مجموعة من المواضيع والافكار والعواطف المشتركة التي هي منغرس في النفوس الى الحد الذي تقبل فيه دون نقاش. ولا تزال هذه الفكرة التقليدية سارية المفعول في ثقافتنا بل متحركة أيضا في تصوراتنا المهنية وموجهة لها وهذا ما بينته العديد من الدراسات كدراسة كونت وأندرسون Counets et Anderson الأمريكية التي أجريت على عينة من الطلبة طلب منهم ترتيب 25 مهنة طلب منهم ترتيبها حسب المكانة الاجتماعية و التصور الاجتماعي والعائد الاقتصادي، ودلت النتائج على الاتجاه السلبي نحو المهن اليدوية ودرجة ارتباط هذا التصور بالقيم والتصورات السائدة جاء ترتيب المهن اليدوية في آخر سلم الترتيب.

وقد أكد ليفي ستروس Levi Strauss في دراساته أن بناء الثقافة التقليدية الشفوية لنظام القرابة يعود في الأصل إلى تفكير بدائي خرافي، حيث اهتم هذا الأخير بتحليل التفكير البدائي الخرافي على أنه شكل ثقافي ليست له أهمية، ويمكن أن نعتبر هذا التحليل من دون مبالغة على أن نصنّفه ونربطه ونجمعه ضمن التفكير العملي الذي يبين لنا طبيعة التصورات الاجتماعية (Levi Strauss, 1962, p29-32).

القيم عنصر أساسي من عناصر الثقافة و لب التصورات الاجتماعية وهي عبارة عن نتاج اجتماعي ينتقل الينا من خلال الاجيال المتعاقبة عن طريق النظم الاجتماعية، فالقيمة هي "موضوع الرغبة الانسانية والتقدير"(محمد عاطف غيث، 1984، ص.272). ويعتبر مفهوم المرغوب حجر الزاوية في تحديد مدلول القيم ومستوياتها، وهي نسق من المقاييس التي من خلالها يتم الحكم على الموضوعات وهي محدد من محددات السلوك، فالناس يتمسكون بالقيم لأنها تعطي لوجودهم معاني تميزهم عن الآخرين"(الربيع ميمون، 1980، ص.327).

والقيم أنواع أهمها القيم التفضيلية يتم على ضوءها التفضيل بين البدائل فتحليل هذه القيم يرتبط بما هو مرغوب وغير مرغوب والاختيار والتفضيل، "والمجتمع هو الإطار المرجعي لهذه القيم والمبادئ العامة التي توجه السلوك في مواقف معينة" (علي عبد الرزاق جبلي، 1984، ص.133). والقيم نحو العمل اليدوي خاصة منها مهنة البناء هي إحدى القيم التفضيلية التي تشجع افراد المجتمع للعمل بها وتشكيل تصوراتهم نحوها. والمتأمل في تكوين القيم نحو العمل اليدوي للبناء نجد أنها ضمن الظواهر الاجتماعية التي تكونت من عدة عوامل متشابكة نذكر من بينها الميراث الثقافي المتوغل منذ القدم نحو تقسيم العمل واعتبار العمل اليدوي في أدنى المستويات والتصورات الاجتماعية المتدنية للبناء وغيرها من القيم الاجتماعية السلبية نحو العمل اليدوي.

مما لا شك فيه أن القيم عامل مهم جدا لتكوين جانب من جوانب الشخصية لدى الأفراد وأساسية في توجيه سلوكهم نحو اختيار الوظائف أو المهن المختلفة.

فالطاقة والجهد اللذان يبذلها الفرد يجب أن تتناسب مع نسق قيمه نحو الشيء الذي يعمل فيه، لذا "عندما تكون القيم سلبية في عمل ما تقل كفاءة الشخص في هذا العمل مما يؤثر بدوره على انتاجية الفرد ودخله، والابتكار فيما يعمله والعكس صحيح عندما تكون القيم ايجابية، نجد أن الشخص بتحد وقوة ونشاط وأحيانا ضد ميوله ونزعاته نتيجة لتأثير القيم" (جمال أبو الخير، 1404هـ، ص.378).

وقد تكونت في مجتمعنا العربي خاصة منها المجتمع الجزائري قيم سلبية نحو احتقار العمل اليدوي خصوصا لدى المجتمعات الريفية "فإن البدو كانوا يحتقرون الصّناعة ويعيبون المهن والمتمهن لحرفة ما، ولقد صارت هذه الخاصية إحدى القيم السائدة لدى كثير من المجتمعات البدوية... الخ حتى مع تغير الظروف الخاصة بالبدوة العربية واضطرار بعض البدو الى امتهان أعمال أو حرف ما، فإنهم يفضلون أعمالا معينة تحددها في الغالب قيمهم المرجعية، والتي من أهمها احتقار العمل اليدوي، ولا شك أن هذه الخاصية خصوصا في البدوة العربية، انما تعود في الأصل والأساس الى تصور البدوي لخصائص الرجل ولمكانته ودوره في المجتمع البدوي" (صلاح مصطفى الفوال، 2005، ص.252). وهكذا أصبحت مكانة الاعمال اليدوية في برامج التكوين المهني في الترتيب الأخير في سلم المهن الذي يعكس القيم السلبية للعمل اليدوي وغير مرضية للأفراد وتصوراتهم مما ينفروهم ويحد من اتجاهاتهم نحوها. ويبدو أن هذه القيم المتدنية قوية وسائدة في أكثر من دولة عربية.

فرغم التحول الكبير الذي شهدته الجزائر من توفر في فرص العمل في البناء ورفع في الاجور وتقديم امتيازات مادية فيها على غرار مهن أخرى وفتح التكوين في فرع البناء، الا أنه مازال هناك عزوف عن العمل في هذه المهنة، وتحليل هذه الظاهرة السلوكية السابقة في الجزائر. "نجد أن الثقافة النوعية التي كونت قيما اجتماعية سلبية نحو المهن اليدوية" (جمال أبو الخير، مرجع سابق، ص.380).

رغم التحولات الاجتماعية والاقتصادية يبدو أن الاحتفاظ بتلك التصورات والقيم الاجتماعية المتدنية والثقافة السلبية نحو المهن اليدوية لا يزال قائما في مجتمعنا الجزائري.

الجدول رقم (06) يوضح: النفور من العمل في البناء بسبب الهدام غير النظيف والمرتب.

التخصص	نعم	لا	المجموع	X^2
نجارة معمارية	11	20	31	66,89
تركيب الصحي للغاز	7	10	17	
التلحيم	10	13	23	
طلاء الزجاج	8	5	13	
حلاقة الرجال	9	8	17	
طبخ الجماعات	165	28	193	
خبازة	25	28	53	
ميكانيك	18	13	31	
المجموع	253	125	378	

يبرز لنا من خلال نتائج الجدول رقم (06)، أن الفروق دالة في اجابات الافراد بدرجة ثقة 0.95 % حيث أن X^2 المحسوبة أكبر من X^2 الجدولة: $66.89 \leq 3.84$. وعليه فقد أجاب 253 متربص في كل التخصصات المهنية اليدوية المختلفة بنعم الهدام هو احدى العوامل المحددة لاتجاهاتهم نحو اختيارها، بينما أجاب 125 آخرون في نفس التخصصات بالمعارضة على العبارة.

أذن من خلال قراءتنا لنتائج الجدول يتبين لنا، أن المظهر الخارجي اللائق للفرد في مهنته هو احد العوامل المحددة لتصورات وانطباعات الآخرين نحوه، ذلك أن الهدام يعكس شخصية ومكانة الفرد الاجتماعية، ويعطي لدى الآخرين انطبعا حسنا عن مستواه الفكري وقدراته العقلية، كما يعطي المظهر الخارجي لدى الآخرين تصوّرا عن مستوى حسن سلوك الفرد، ومن ثم ما يمكن أن يحصل عليه هذا الاخير من درجة في الاحترام والتقدير من طرف الآخرين.

اذن فالهدام وسيلة تواصل واتصال اجتماعية رمزية بين الفرد والآخرين، ويعتبر أيضا وسيلة محددة و قوية لتحديد طبيعة العلاقة بينه وبين بيئته الاجتماعية وعامل مهم ومؤثر على العلاقات الاجتماعية والمهنية بين الافراد

فجاذبية المظهر للفرد في مهنته يمكن أن تترك انطبعا ايجابيا نحوه ونحو ومكانته وشخصيته وقدراته العقلية والعكس صحيح في حالة الهندام الغير النظيف والمرتب.اذن من خلال هذه النتائج يمكننا أن نعتبر أن الهندام هو احد تلك الدوافع والحوافز الأساسية لدى الافراد في اختار المهنة وتوجيه وتشكيل اتجاهاتهم وتصوراتهم الاجتماعية نحوها، و بما أن الهندام الغير المرتب والنظيف هو احد مميزات وخصائص مهنة البناء منذ القدم، بينما نحن في زمن يحكمه المظهر في تقدير الاشياء، يمكننا القول أن هذا العامل بات يزيد من اتجاه النفور لدى الشباب نحوها خاصة في وقتنا الحالي الذي أصبح فيه الهندام احدى الوسائل والآليات التي يستخدمها الفرد في تحقيق مكانته ووجوده وانتمائه الاجتماعي.

عرض مناقشة فرضية توجد قيم متدنية لمهنة البناء من خلال الامثال الشعبية تعزز اتجاه العزوف:

تظهر القيم الاجتماعية للعمل اليدوي خاصة منها البناء جليا من خلال الامثال الشعبية باعتبارها الشريحة التي تختزل فيها تجارب والمرآة الصافية لحياة الشعوب حيث أن الأمثال الشعبية تعكس تصورات وأفكار الشعوب وعقائدها واتجاهاتها وسلوك أفرادها "للأمثال مكانة هامة وظيفية لا تنكر فائدتها لما تتميز به من تأثير في الأذان وتقرير للمعاني"(رودلف زلهام، 1971، ص.7).

الامثال الشعبية هي حصيلة خبرات الاجيال المتعاقبة والحكمة المستوحاة من هذه الخبرات، وسنذكر هنا بعض الأمثال الشعبية المتداولة على مهنة البناء والبناء معا والتي تبين التصورات الاجتماعية المتدنية للبناء.

يتعجب المجتمع من بناء الذي يعمل طوال السنة ولكنه في الاخير لا يؤمن معيشتة من خلال المثلين الشعبيين "الماصو كلشي خاصو" و"الربا رباوية ودراهم الماصو مربية".

والمقصود من هذين المثلين أن البناء مهما عمل فلن يؤمن قوت يومه لأن أجره يكون غير منظم هذا من جهة، ومن جهة أخرى حسب التصورات الشعبية فإن أصحاب المهن اليدوية هم أناس لن يكون لهم الحظ بأن يصيروا أغنياء وانما سيبقون دائما في الطبقة السفلى من طبقات المجتمع وهذه الفكرة توضح جليا الميراث الثقافي السابق للثقافة اليونانية في فكرة تقسيم العمل بين عمل عقلي وعمل يدوي واعتبار العمل اليدوي في أدنى مراتب التقسيم لأن الانسان في القديم خاصة منها المستعمرات كان "يستخدم كحيوان للاستفادة من طاقته البدنية وحسب"(دافيد كوت، 1971، ص.25) فالفكر العملي ما هو الا تطبيق للفكر النظري وأن أصحاب المهن والحرف يمثلون الطبقة الدنيا من المجتمع لأنهم لا يحسنون التفكير أو لا يحسنون العمل الذهني الذي يرقّي الفرد من صفة الحيوانية الى صفة الانسانية بل يعتمدون على الجهد العضلي كباقي الكائنات الاخرى ومن الصعب أن يحقق لهم العمل اليدوي الرقي في المجتمع فلذا كان ينظر الى مرتبتهم ومكانتهم الاجتماعية بالنقص والدونية.

ضف الى هذا المثل الشعبي تصور شعبي آخر هو " يعلي في بنيان جaro ومخلي بنيان دارو"، والمقصود بهذا المثل وكأن البناء حياته مسخرة لخدمة الغير بينما لا يستطيع افادة وحسن عون نفسه و دليل على عدم القدرة حسن التسيير وتدبير نفسه وهذا ما يبرر أيضا تصورات الفلسفة التقليدية أن المشتغلون في المهن اليدوية لا يختلفون عن الحيوان لأن ليس لهم قوة عقلية يفكرون بها ، أي أن قدراتهم العقلية ضعيفة و غريزية تعتمد على الجهد العضلي فقط وهناك مثل شعبي آخر يؤكد هذا المعنى "باني للدوار وهو ماعندو دار" وهناك تصور شعبي آخر يقول " الماصو عمرو ما يربح لاخطرش ربي ساخط عليه" يبدو أن جذور هذه الفكرة تعود الى الفكرة المسيحية التي تقول أن العمل اليدوي والعمل بصفة عامة ما هو إلا عقاب الالهي سلطه الله على الانسان لتتقيته من الذنوب ولن يفلح الانسان الا اذا تعالى عن جسده وارتقى بفكره. حيث تظهر هذه الفكرة من خلال هذا المثل الشعبي على أنها مغذية للعقل الجزائري وتصوراته الاجتماعية لصورة البناء في المجتمع.

والمثل الشعبي العاكس لاتجاه الشباب المتدني والنافر من مهنة البناء نجده في قول العرب " بلاك من ثلاث خدمات لا تختارها ذباح البقر، قطاع الشجر، بناي لحجر هذو عمرهم ما يربحو" اذن هذا المثل الشعبي يعكس لنا ثقافة وتصورات المجتمع لهذه المهن ، منها مهنة البناء ويلخص لنا بكل بساطة عوامل النفور منها.

من خلال هذا المقال يظهر لنا جليا أن سلم ترتيب المهن في الجزائر يخضع لتأثيرات التصورات الاجتماعية المكتسبة من خلال الثقافة الشعبية التي تمجد العمل الذهني وتدحض العمل اليدوي.

المراجع

- أحمد أحمد، 1403: مقومات الجريمة، دار القلم، الكويت.
- ادوارد تي هول، ترجمة لميس فؤاد اليحيى، 2007: اللغة الصامتة، الاهلية للتوزيع والنشر، الاردن.
- بن عبد الله محمد، 2010: سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- دافيد كوت، ترجمة عدنان الكيلاني، 1971: علم الاجتماع، المؤسسة العربية للنشر، بيروت.
- دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، 2007: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
- ربيع ميمون، 1980: نظرية القيم في الفكر المعاصر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر.
- رودولف زولهائم، ترجمة رمضان عبد التواب، الامثال العربية القديمة، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، 2008: مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، بيروت.
- علي عبد الرزاق جبلي، 1984: المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت.
- كمال عبد الحميد الزيات، 2001: العمل وعلم الاجتماع المهني والاسس النظرية والمنهجية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
- كمال عبد الحميد الزيات، (1986) علم الاجتماع المهني، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.
- بوفلجة غياث، (2006) التكوين المهني والتشغيل في الجزائر، دار الغريب ولتنشروالتوزيع. الجزائر
- محمد أحمد بيومي، 1983: الانثروبولوجيا الثقافية، دار الجامعة للطباعة والنشر، بيروت.
- محمد عاطف غيث، 1984: علم الاجتماع القروي، دار النهضة العربية، بيروت.

محمد عبد محجوب، 1981: الانثروبولوجيا ومشكلات التحضر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

محمد فؤاد حجازي، 1975: الاسرة والتصنيع، مكتبة وهبة، مصر.

مصطفى الفوال صلاح، 1996: علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، مصر.

نادية عمر الجولاني، 1993: علم الاجتماع الحضري، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

جمال أبو الخير، 1404: مجلة كلية العلوم الاجتماعية، ادارة الثقافة، الرياض.

المراجع بالفرنسية:

Gustave-Nicolas Ficher, 2010 : les concepts fondamentaux de la psychologie social,
Dunod, Paris.

Jodlet Denise, 1989M Représentations sociales, presse universitaires, France.

Levi Strauss, (1962) la pensé sauvage, presse universitaires de France, paris.

Moscovici. (1976). La psychanalyse, son image et son public, presse universitaires de
France, paris.

Robert Longechal, 1998 : Maçonnerie, Edition Rustica, Paris.

Verena Aebischer, Dominique Oberlé, 2012: le groupe en psychologie sociale, Dunod,
Paris.

